مبدأ تدريس العلوم بالعربيّة في ضوء القرآن الكريم

principle of Teaching Sciences in Arabic in the light of the Quran

د.دهكو محمد*

تاريخ الاستلام: 04 12 2018 تاريخ القبول: 17 04 2019

الملخّص: هدفت الدّراسة الى الاسهام في الكشف عن سبب اختيار اللّسان العربي لغة لتبليغ وتدريس ما في القرآن الكريم من هدى ومعارف، مع التّركيز على المنظور التّربوي للمسألة، وذلك من خلال البحث في الكتاب العزيز عن ضوابط ومعايير تفسر اعتماده للعربيّة لغةً لتقريب معانيه الى الأذهان.

وتوصّل الباحث الى أنّ القرآن الكريم أشار مراراً الى بُعد قدرة العربيّة على البيان، وذلك في سياقات الحديث عن تبليغ الرسالة السّماويّة، وهو ما فسر به الباحث اعتمادَ الكتاب العزيز للعربيّة لغةً لتدريس علومه وأحكامه وإرشاداته.

كلمات مفتاحيّة: التّدريس– مبادئ التّدريس– لغة التّدريس – في ضوء القرآن الكريم – المعيار

Abstract:

In this study we aimed to reveal the reasons of choosing the Arabic as a language to preaching the Holy Quran and teaching its Sciences, through researching in Quran for criterions that

* جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان، الجزائر، البريد الإلكترونيّ: dehkoumohamed@gmail.com

المنارة للاستشارات

explain why the arabic is accredited to approximating its meanings to the minds.

The Researcher concluded that Holy Quran has mentioned at many times the aspect of arabic Expression accuracy in the Context of preaching the holy message, he Considered it the justification of choosing the Arabic as a language to teach all what it has like sciences, judgements and instructions.

Keywords: Teaching – principles of teaching– language of teaching – in light of Quran –– criterion

المقدّمة: يحتدم النّقاش التّربوي حول لغة تدريس العلوم، وذلك لما للتواصل اللّغوي من أدوار في تحقيق التّفاعل بين المعلّم والمتعلّم من جهة، ولعدم القدرة على الاستغناء عن اللّغة مهما تطورت وتوفرت وسائل التّدريس من جهة أخرى.

ولعلّ اللّغة العربيّة أكثر اللّغات إثارة لذلك النّقاش والجدل، وهذا لوحده كافٍ في استدعاء تناول هذه القضيّة بالبحث، وتزداد ضرورة ذلك عندما ننظر الى العربيّة على أنها لغة حضارة ملأت الدّنيا، ثم تزداد أكثر عندما نتناولها باعتبارها لغةً للوحي الذي أخرج تلك الحضارة.

وبالرجوع الى القرآن الكريم، نرى أنّه نصّ في آيات كثيرة على أن لغته هي اللّسان العربيّ، وتاريخياً يعلم الجميع أن الإسلام نزل على سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم العربيّ، وأنّه بُعث الى العرب، كما يعلم الجميع أنّ الرسل لا يبعثون الاّ بالسّنة أقوامهم، فلا بد إذن من قراءات جديدة لإدراك مقاصد تلك النّصوص.

ولقد حاول المفسرون إظهار حكمة اختيار اللّه تعالى العربيّة لغةً لكتابه العزيز ولا تزال الاجتهادات متواصلة في ذلك، وهي مسألة جديرة بالدّراسة والبحث، وإنّ التّوصل الى تفسيرات معتبَرة قد تسهم بقوة في إلقاء المزيد من الأضواء على النّقاش التّربوي المتعلّق بلغة تدريس العلوم في البلدان العربيّة على وجه

المنارة للاستشارات

الخصوص. وفي جميع الأحوال، فإنّ في القرآن الكريم إشاراتٍ متعدّدةَ ومتنوّعةً تتعلق بسبب اختيار اللّسان العربي لغةً لتبليغ الوحي ولتدريس ما فيه من علوم وأحكام وهدى، كما أنّ هناك إشارات الى العلاقة بين وظيفة الرسول صلى اللّه عليه وسلم التّبليغيّة التّعليميّة من جهة، ووظيفة اللّغة التّواصليّة من جهة أخرى، ولذلك فقد اعْتُبر اعتمادُ العربيّة لغةً لتدريس العلوم من مبادئ التّدريس في ضوء القرآن الكريم.

على ضوء ما قُدّم تظهر لنا عدّة أسئلة منها

– ما مفهوم التّدريس في ضوء القرآن الكريم؟

– ما أهميّة مبادئ التّدريس؟

– ما أهميّة لغة التّدريس في ضوء القرآن الكريم،

– ما مذاهب المفسرين في تعليل تنزيل القرآن بالعربيّة؟

– ما معيار اعتماد العربيّة لغة لتبليغ الوحي وتدريس علومه في ضوء القرآن الكريم؟

وتهدف الدّراسة الى البحث في الذكر الحكيم عن سبب اختيار العربيّة لغةً لتدريس ما فيه من علوم وأحكام، ثم محاولة استنباط ما يمكن اعتباره معياراً وضابطاً لجودة لغة تدريس العلوم.

ولتحقيق ذلك يتبع الباحث المنهج الاستقرائي التّحليلي، وذلك من خلال جمع ما في المسألة من آيات كريمة وقراءتها قراءة تحليليّة لاستنباط ما قد يسهم في تحقيق أهداف البحث.

2. مفهوم التّدريس

1.2 التّدريس في اللّغة: يدلّ التّدريس في أصل اللّغة على جملة معانٍ مثل زوال الأشياء ورياضة الدّابة وتذليل الكتب بتكرار قراءتها قصد حفظها وفهمها جاء في لسان العرب: (درس دَرَسَ الشّيءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُرُوساً: عَفَا... وَمِنْ ذَلِكَ دَرَسْتُ الثوبَ أَدْرُسُه دَرْساً، فَهُوَ مَدْرُوسٌ ودَرِيسٌ، أَي أَخْلَقْتُه... ودَرَسْتُ الْكِتَابَ

المنارة للاستشارات

أَدْرُسُه دَرْساً أي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حِفْظُهُ عليَّ ... وأصل الدّراسَة: الرِّيَاضَةُ والتّعَهُّدُ لِلشَّيْءِ...)[1] (لسان العرب، د.ت.ن).

فأصل التّدريس في اللّغة – فيما يرتبط بموضوع البحث– يشير الى بُعدي المداومة والتّكرار في التّرويض، سواء في الجانب المادي كما في رياضة الدّابة وتدريبها، أم في الجانب المعنوي كما في تذليل صعوبات التّعلم المختلفة.

2.2 مفهوم التّدريس في القرآن الكريم: جاء ذكر جذر (د.ر.س) في القرآن الكريم بمختلف مشتقاته ست مرات في الآيات التّاليّة:

- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:79].
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام:105].
- ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [الأنعام:156].
- ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف:169].
- ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ:44].
- ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾[القلم:37].

وقد جاءت التّفاسير مُتّفقة على معنى الدّرس في الآيات، سواء بالنّظر الى أصل معناها في اللّغة العربيّة، أم بالنّظر الى أبعاد التّدريس في التّصور الإسلامي كما ورد في سياقاته القرآنيّة.

ففي قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[آل عمران:79]. يقول ابن عاشور: ﴿ **تَدْرُسُونَ** ﴾ معناه تقرؤون، أي قراءة بإعادة وتكرار: لأن مادة درس في كلام

المنارة للاستشارات

العرب تحوم حول معاني التّأثر من تكرّر عمل يعمل في أمثالـــه... ومـــادة درس تستلزم التّمكن من المفعول فلذلك صار درس الكتاب مجازا في فهمه وإتقانـــه...)[2] (ابن عاشور، 1984)، ويقول أيضا: (فالدّراسة مراد بهـــا التّعلـــيم. والدّراســـة: القراءة بمعاودة للحفظ أو للتأمل، فليس سرد الكتـــاب بدراســـة) [3] (ابـــن عاشـــور 1984).

فقراءة الحروف مهما تكرّرت لا تسمى في ضوء القرآن الكريم دراســـة حتـــى تقرن بفهم ما يقرأ.

والدّرس في ضوء القرآن – كما في في اللّغة – يدلّ على جهد الشّخص بهدف الحفظ والفهم كما يدلّ أيضا على نفس الجهد عندما يُقصد به جعْـلُ الغيـــر يحفـــظ ويفهم وهذا يشير الى بُعد إيصال المعلّم لمختلف الخبرات الى المتعلّم، ومن هـــذا المنظور فالتّدريس يُعبر عنه بالتّعليم في التّصور الإسلامي للتربيّة.

وغايّة غايات التّدريس في القرآن هي معرفة اللّه تعالى وتحقيق العبوديّـــة لـــه بمفهومها الشّرعي الشّامل، كما تدلّ على ذلك السّياقات التّي وردت فيهـــا الآيـــات الكريمة فهي كلها متعلقة بتوحيد اللّه تعالى وما تفرع عنه من أصول عقديّة.

ويرى الباحث أن إدمان وتكرار المعالجة ليست ســـوى انتظـــام النّشـــاط فـــي التّحصيل العلمي، ذلك أن تذليل صعوبات التّعلم يستلزم بذل الجهد المناســـب مـــن جهة، وتوزيعه من جهة أخرى كما تقتضيه مبادئ التّدريس.

وفي الاشارة الى أهميّة توظيف التّحصيل العلمي في الحياة نقرأ قولـــه تعـــالى ﴿ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ ﴾ فدراســـة الكتـــاب تقتضي العمل بما فيه من تعاليم، ذلك أن الدّراسة والتّدريس في الاسلام وســـيلة لا غايّة في حدّ ذاتها، فإذا ظلّ ما يحصله الدّارس من العلوم نظرياً ولم يجسّـــده فـــي حياته كانت تلك الدّراسة الى التّرف أقرب.

المنارة للاستشارات

والمتعلّم في ضوء القرآن الكريم ليس مُتلقِّياً لا دور له، بل مشارك وفعَّال، فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما، في قوله: ﴿ **وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ** ﴾ قال: قالوا دارَسْتَ أهلَ الكتاب، وقرأت الكتب وتعلَّمْتَها)[4] (الطبري، 2001).

ونستنتج ممّا سبق جملة أمور هي:

أ- أنّ الغايّة العامّة للتدريس هي تحقيق العبوديّة لله تعالى ﴿ **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ** ﴾، وذلك من خلال توحيده وعمارة الأرض وفق شريعته تعالى.

ب- أنّ التّدريس في ضوء القرآن الكريم للتربيّة يأتي مرادفاً للتعليم.

ج- أن القرآن الكريم يشيد بدوريْ المعلّم والمتعلّم كليهما، فلا مبالغة في دور الأول كما في التّدريس التّقليدي، ، ولا مبالغة في فعاليّة الثاني كما في التّدريس الحديث.

د- أنّ مدلول التّدريس في الكتاب العزيز يشير الى أبعاد المداومة والتّكرار والمحاولة، ثم إنّه لا يأتي فيه إلا مقرونا بالكتاب، أي الوحي الذي يأتي به الأنبياء عليهم السّلام، أمّا آيّة الأنعام التّي خلت من ذكر لفظ الكتاب فقد جاءت في سياق الوحي المنزل﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأنعام:104]، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ [الأنعام:106]، ذلك أنّ الأصل الأصيل للكتابة هو الجمع والضم مطلقا (فإذا قلت: الكتاب أو القرآن، كنت كأنما قلت "الكلام الجامع للعلوم" أو "العلوم المجموعة في كتاب")[5] (دراز، 1985)، ويرى الباحث أنّ ذلك إشارة واضحة الى عنصر النّشاط الهادف المنظم، فتحصيل ما في الكتاب من علوم يقتضي مواصلة بذل الجهد الموزَّع والهادف.

ه- أنّ الدّرس في القرآن الكريم وسيلة لا غايّة، فلا بد من توظيف ما تمّ تحصيله في الحياة، إذ العلم بلا عمل في القرآن الكريم يتساوى وجوده وعدمه، بل يصير حجة على صاحبه يوم القيامة.

المنارة للاستشارات

و- أن الدّراسة المثاليّة في القرآن الكريم هي ما شارك فيها الـدّارس غيـرَه يدلّ على ذلك قراءة ﴿وَلِيَقُولُواْدَرَسْتَ﴾[الأنعام:105]، كمـا يـدلّ عليـه مجـيء "الدّرس" في أغلب الآيات بصيغة الجمع، ممّا يشير الى عنصـر التّبـادل وتفعيـل المشاركات في العمليّة التّربويّة. ويفسّره ما جاء في قوله صلى اللّه عليـه وسـلم (...**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُـونَ كِتَـابَ اللّـهِ، وَيَتَدَارَسُـونَهُ بَيْنَهُمْ**...)[6] (مسلم،1991).

3.2 مفهوم التّدريس في التّربيّة المعاصرة: بحكم تعقّد عمليّة التّدريس، فإنّ مصطلحه لم يستقر على مدلول محدّد بين علماء التّربيّة رغم شـيوعه، بـل إنـه يستخدم بمدلولات مختلفة، وأسباب الاختلاف في ذلك كثيرة منها غيـاب النّظريّـة المتفّق عليها في التّدريس، ومنها تداخله مع مفاهيم تربويّة أخـرى مثـل التّربيّـة والتّعليم والتّدريب من جهة، دون أن ننسى عامـل اسـتناد الاتجاهـات الشّـارحة للتدريس الى فلسفات تربويّة مختلفة تفرض مداخل محدّدة فـي تحديـد مفهومـه[7] (زيتون، 1997).

ومن أشمل التّعريفات للتدريس وصفه بأنّه: (نشاط إنساني هـادف ومخطـط وتنفيذي يتم فيه تفاعلٌ بين المعلّم والمتعلّم وموضوع التّعلم وبيئته، ويـؤدي هـذا النّشاط الى نمو الجانب المعرفي والمهاري والانفعالي لكل مـن المعلّـم والمـتعلّم ويخضع هذا النّشاط الى عمليّة تقويم شاملة)[8] (شبر،2014).

4.2 بين التّعليم والتّدريس: تفرّق التّربيّة المعاصرة بين مفهـومي التّعلـيم والتّدريس بأكثر من وجه، فالتّدريس عمل مقصود، أي أنه تعليم مخطَّط له ومحـدّد الأهداف وأنّه لا يحصل إلا داخل المؤسسات التّعليميّة، وأنّه لا يتناول إلا المعارف والقيم، أمّا التّعليم فزيادة على كونه أشمل من التّدريس، فإنّه يـتمّ بقصـد وبـدون قصد، ويحصل داخل المؤسسة التّعليميّة كما يحصل خارجها، وأنّه يتنـاول تعلـيم المهارات بالإضافة الى المعارف والقيم[9]. (عطيّة، 2003)

المنارة للاستشارات

أمّا في القرآن الكريم فإن التّدريس هو التّعليم والتّعليم هو التّدريس، وفي جميع الحالات، فإن التّصور الاسلامي للتربيّة يرى أنّ التّربيّة والتّعليم والتّدريس (مفاهيم مترابطة ومتداخلة، فإذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت...)[10]. (المحيسن،2007)، فإذا قرن بين والتّعليم والتّدريس كان لكل منهما معنى خاصٌّ به أما إذا افترقا فإنّ أحدهما يدلّ على الآخر، وهذا ما يسير عليه الباحث هنا، مع التّأكيد على ما في الأمر من سعة، ولا بد من الاشارة الى أنّ الاسلام يعتبر التّدريس وسيلة من وسائل التّربيّة، ولا يفرق بينهما خلافا للفلسفات التّربويّة الأخرى، وبسبب اشتراكهما في الأهداف العامة (تسقط أسباب التّمييز بيت التّربيّة والتّعليم، لأنهما يحملان معنى واحدا خاصة عندما يكون هذا التّعليم مثاليا تماما مثلما كان الحال زمن الرسول صلى اللّه عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده)[11] (دخل اللّه، 2004).

5.2 أهميّة مبادئ التّدريس: إذا كانت مبادئ العلم هي (قواعدُهُ الأساسيّة التّي يقُوم عليها ولا يخرج عنها)[12] (المعجم الوسيط، 2007)، فإنّ مبادئ التّدريس هي مجموعة القواعد والأسس التّي يقوم عليها التّفاعل بين المعلّم والمتعلّم بقصد تنميّة مختلف أبعاد الشّخصيّة.

وهذه المبادئ ضروريّة لنجاح العمليّة التّربويّة، ويرى التّربويون أنّ مراعاة المعلّم لتلك المبادئ، وإقامة مهنته على أساس منها من شأنه أن يجعل أنشطتَه التّدريسيّة أكثر فعاليّة، (وبصفة عامة يمكن القول إنّ المدرسين الذين يقيمون النّشاط الدّراسي في ضوء المبادئ والأسس التّربويّة هم الذين تكلّل جهودهم بالنّجاح. ومن جهة أخرى فإنّ تجاهل هذه المبادئ فيه إهدار للوقت والجهد والمال وتصبح العمليّة التّعليميّة عشوائيّة تفتقر الى التّوجيه والفعاليّة)[13] (الزيات، 2004).

المنارة للاستشارات

3. لغة التّدريس في القرآن الكريم

1.3 أهميّة لغة التّدريس: لغة التّدريس هي اللّغة التّي يستخدمها المعلّم في إيصال الخبرات للمتعلم، فهي – من هذا المنظور – الوسيلة الرئيسة والوحيدة التّي لا يمكن الاستغناء عنها في العمليّة التّربويّة.

إن التّواصل اللّغوي ضروري في تدريس ونقل العلوم حتى في أكثر الدّول إنفاقاً على وسائل التّعليم، غير أن أهميته تتضاعف في الدّول النّاميّة، حيث تندر أو تنعدم – أحياناً – وسائل التّعليم، بحيث يعتمد المعلّم في تفاعله مع المتعلّمين اعتماداً كلياً على اللّغة وإنّ مما يكشف عن أهميّة مكوّن التّواصل هو تعقّد عمليّة التّدريس سواء أخذنا برأي علماء اللّغة الذين يرون ان وظيفة اللّغة هي التّعبير والتّفاهم والتّواصل أم أخذنا برأي من يرفض حصرها في ذلك فيوسّعها لتحتوي وظائف أخرى وسيليّة وتفاعليّة وشخصيّة واستكشافيّة وتخيليّة وغير ذلك[14] (إياد، 2015).

وبسبب تلك الأهميّة تُرفق "لغة التّدريس" في ميدان علوم التّربيّة بصفة "التّواصليّة" .(Communicative language teaching) في إشارة واضحة الى بعد التّواصل وعمقه في العمليّة التّربويّة[15](ضباغ،2015).

وينبغي الاشارة الى أنّ جميع الالسّنة متساويّة في أصل القدرة على الايصال والنّقل والتّبليغ، فاللّغات (مهما كانت طبيعتها وخصائصها تستطيع أن تؤدي الوظيفة الأساسيّة وهي التّبليغ والوظائف المرتبطة بها، ولم نسمع أن عالما لغويا ادّعى غير ذلك، فليس هناك علاقة جدليّة بين اللّغة وأدائها لوظائفها المختلفة من جهة وبين التّحضر والتّحصيل من جهة ثانيّة...) [16]. (سالمي، 2013)

غير أنّ تساوي اللّغات في أصل القدرة على التّبليغ لا يستلزم بالضرورة تساويها وتعادلها في ما عدا ذلك مثل جودة النّقل وسرعته وفعاليته، وهذا هو المدخل الموضوعي لتناول قضيّة تفاضل اللّغات، فالتّفريق والتّمييز بينها يكون (...

المنارة للاستشارات

في مجال أدائها لوظيفة تدريس العلم باعتبار القدرة الفعليّة وتطويع أهلها لها لتقوم بهذا الدّور وليس من حيث مطلق الإمكان)[17] (سالمي، 2013).

2.3 وظيفة الرسل ووظيفة اللّغة: مهما تفرّعت وظيفة الرسل عليهم السّلام فإنها تعود الى التّبليغ والتّعليم، تبليغ الكتاب الذي أنزله اللّه عليهم بتلاوته على النّاس، وتعليمهم ما فيه من معارف وأحكام، وفي هذا نقرأ الآيات التّاليّة:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:67].
- ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف:68].
- ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ [الأحقاف:23].
- ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:129].
- ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:151].
- ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:164].
- ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الجمعة:2].

قال أبو السّعود: ﴿ **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ** ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من البينات،﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ**﴾ بحسب قوتهم النّظريّة، ﴿ **الْكِتَابَ** ﴾ أي القرآن، ﴿ **وَالْحِكْمَةَ** ﴾ وما يكمل به نفوسهم من أحكام الشّريعة والمعارف الحقة، ﴿ **وَيُزَكِّيهِمْ** ﴾ بحسب

المنارة للاستشارات

قوتهم العمليّة أي يطهرها عن دنس الشّرك وفنون المعاصي) [18] (أبو السّعود د.ت.ن).

فأصل مهمة الرسل عليهم السّلام هي تبليغ ما أنزل إليهم من وحي وتعليم ما في الوحي من علوم وأحكام[19] (علي، 2002).

والرسل في ذلك مأمورون بإقامة الحجة على النّاس ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النّساء: 165]، وحريصون – بما يتصفون من الرحمة – على هدايّة البشر الى عبوديّة اللّه تعالى﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: [التّوبة: 128] وهذا يقتضي الحرص على بيان وإظهار مضمون ما أُرسلوا به بحيث لا يكتنفه أدنى غموض.

ووظيفة الأنبياء عليهم السّلام لا غنى لها عن اللّغة لتبليغ وإيصال الوحي وتدريس ما فيه من علوم وأحكام، قال اللّه تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[إبراهيم:4]

فعلاقة اللّغة بالرسالة في ضوء القرآن الكريم تكمن في تسهيل نقل المرسل للمحتويات الى المتلقي، تماماً كما أُريد للرسالة أن تُبلّغ، وهذا هو المطلوب من الرسول صلى اللّه عليه وسلم ومن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء من بعده، أن يبيّنوا ويظهروا ما في القرآن من معارف وأحكام (وقد فرض اللّه على علماء القرآن تبيينه تصريحا كقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النّحل: 44، وتعريضا كقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ا [آل عمران: 187]) [20] (ابن عاشور، 1984).

3.3 العربيّة لغة درس وتدريس القرآن: يربط القرآن الكريم في الكثير من آياته بين وظيفة الرسول صلى اللّه عليه وسلم المتمثلة في التّبليغ والتّدريس وبين

المنارة للاستشارات

اللّسان العربي الذي اختاره اللّه تعلى لإنزال القرآن الكريم، ونقرأ في ذلك الآيات الكريمة التّاليّة:

- ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ [يوسف].
- ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [النّحل:103].
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ [طه:113].
- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾[الشّعراء].
- ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت:3].
- ﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾ [الزخرف].
- ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدّخان:58].

فالربط بين فهم وتفهيم القرآن وبين اللّغة العربيّة مقصودٌ، وهو أجلُّ وأعظمُ من أنْ يفسَّر بكون الرسول محمداً صلى اللّه عليه وسلم عربياً وقومه عرباً، خاصة عندما يؤكد القرآن على بُعد الابانة في اللّسان العربي كما سيأتي[21].

وبغض النّظر عن الاختلاف في تعليل تنزيل الكتاب العزيز باللّسان العربي فإنّ العلماء متفقون على ضرورة العلم بالعربيّة لتحصيل معارف ومقاصد القرآن الكريم وفي هذا يقول الشّاطبي: (القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن اللّه تعالى يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ﴾ [يوسف: 2] . وقال:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشّعراء: 195] . وقال: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [النّحل: 103] . وقال: ﴿ وَلَوۡ

المنارة للاستشارات

جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت: 44] . إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة)[22] (الشّاطبي، 1997) ولأهميّة اللّغة العربيّة في فهم معاني القرآن وتوقُّف القدرة على استنباط الأحكام الشّرعيّة على العلم بها، فقد اتفق الأصوليون على اشتراط ذلك في المجتهد في الجملة وأن اختلفوا في بعض تفاصيلها، قال أبو زهرة (... اتفق الفقهاء على ضرورة العلم بها، لأن القرآن الذي نزل بهذه الشّريعة عربي ولأن السّنة التّي جاءت لبيانه لسانها عربي...) [23] (أبو زهرة، د.ت.ن).

والمفسرون – مثل الأصوليين والفقهاء – متفقون على ضرورة العلم باللّسان العربي لفهم معاني القرآن الكريم، غير أنهم يختلفون في تعليل إنزاله باللّغة العربيّة، فما أقرب المذاهب الى معيار وضابط القرآن في ذلك؟

4. معيار اعتماد العربيّة لغةً للتدريس في القرآن الكريم

1.4 خصائص اللّغة االعربيّة: تُربط قضيّة حكمة اختيار اللّسان العربي لغةً للقرآن بما لها من خصائص وميزات تؤهلها لبيان معاني الوحي أكثر من غيرها يقول البغا في تحديد تلك الحكمة: (ما تتمتع به اللّغة العربيّة من مقوّمات اللّغات الحيّة وعناصر قوّتها واستمرارها، وذلك من حيث وفرة مفرداتها بالأصالة والاشتقاق، أو بالحقيقة والمجاز. أو من حيث قبولها للتطور والتّقدّم الحضاري، أو من حيث مرونة أساليبها، وصلاحيتها لكلّ ما يراد منها، أو من حيث فصاحة ألفاظها وبلاغة تراكيبها[24] (البغا،1998).

وخصائص العربيّة كما ذكرها زيدان[25] (زيدان، 1911) كثيرة منها:

أوّلاً– خاصيّة الإعراب: ويُقصد به هنا تغير أواخر الكلمات بسبب تغير العوامل الدّاخلة عليها بالرفع والنّصب والجر والسّكون، ويشير ابن فارس الى أن للعرب في الاعراب ما ليس لغيرها، (فبه تُميَّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين. وذلك أنّ قائلاً لو قال: "ما أحسنْ زيدْ" غيرَ معرب أو "ضربَ عمرْ زيد"

المنارة للاستشارات

غير معرب لم يوقَف على مراده. فإن قال: "ما أحسنَ زيداً" أو "ما أحسنُ زيدِ" أو "ما أحسنَ زيدٌ" أبانَ بالإعراب عن المعنى الذي أراده)[26](ابن فارس،1997).

ثانياً– خاصيّة دقة التّعبير بألفاظها وتراكيبها: فلكل معنى فيها لفظ خاصّ ومثال ذلك أنّ لكل ساعة من ساعات النّهار اسم خاص به، فالأولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهجرة ثم الزوال ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب، ولا خلاف في أنّ ذلك من أدلة الارتقاء، ولعل العربيّة أغنى الالسّنة في الألفاظ المعبرة عن المعاني المجردة والانفعالات.

ثالثاً: خاصيّة المترادفات والأضداد: والمقصود بالمترادفات تعدّد المعاني للفظ الواحد، والحدّ الأدنى في ذلك متوفر في جميع اللّغات، ووجه تميّز اللّغة العربيّة به هو كثرتها، فللظلام – مثلاً – 52 اسما، وللماء 170 اسما، وللناقة 255 اسما ... الخ. أمّا الأضداد فالمقصود بها الألفاظ الدّالة على المعنى وضده مثل قولهم "قعد" فهو للقيام والجلوس، وقولهم "نضح" الدّال على العطش والري...الخ.

رابعاً: خاصيّة المعاني الكثيرة للفظ الواحد: والمقصود بهذه الميزة دلالة اللّفظ الواحد على المعاني الكثيرة، فهي مقابلة لميزة التّرادف، فللفظ "العين" –مثلا– 35 معنى، وللفظ "العجوز" 60 معنى .

وللسان العربي خصائص أخرى مثل الاشتقاق والنّحت، والاقلاب والابدال والقياس والارتجال، والحقيقة والمجاز والكنايّة، والتّعريب والتّرجمة، مع الاشارة الى أنّ كون ما سبق من ميزات العربيّة لا ينفي توفرها في اللّغات الأخرى، فقد يكون وجه التّميز في خاصيّة ما هو توفرها بكثرة فيها دون غيرها كما رأينا في ميزة المترادفات[27].

2.4 مذاهب المفسرين في تعليل تنزيل القرآن بالعربيّة : اتفق المفسرون على أهميّة اللّغة العربيّة لدرس وتدريس الكتاب العزيز، وهو اتفاق منطقي بالنّظر الى ما جاء في ذلك من نصوص صريحة تربط بين وظيفة الرسول صلى اللّه عليه

المنارة للاستشارات

وسلم وبين وظيفة اللّغة، لكنهم يختلفون في تعليل وتفسير إنزال الذكر الحكيم باللّسان العربي على هذا النّحو:

المذهب الأول: يقول أصحابه إنّ ذلك استمرار لسنة اللّه تعالى في الأمم الماضيّة فاللّه تعالى يبعث الرسل للبشارة والنّذارة بلسان أقوامهم لكي يفهموا الرسالة فتنقطع الأعذار وتقوم الحجة كمال قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:4]. فالآيّة الكريمة تعلّل ذلك بإبانة وإظهار محتويات الرسالة.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف:2]:(يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين، قرآنًا عربيًّا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه، وذلك قوله: (لعلكم تعقلون)[28] (الطبري،2001).

ولو نزل القرآن بغير العربيّة لاحتج المخاطبون بعدم الفهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت:44].

قال الطبري في تفسير ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾[الشّعراء]: (وقوله:﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ يقول: لتنذر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله ﴿ **بِلِسَانٍ** ﴾ من صلة قوله: ﴿ **نَزَلَ** ﴾، وإنما ذكَر تعالى ذكرُه أنه نزّل هذا القرآنَ بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلاماً منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نُعرِض عنه ولا نسمعه لأنَّا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع لهم...) [29] (الطبري،2001).

المنارة للاستشارات

وقال الشّوكاني:(وإنما جعل اللّه سبحانه القرآن عربياً، بلسان الرسول العربي لئلا يقول مشركو العرب لسنا نفهم ما تقوله بغير لساننا، فقطع بذلك حجتهم وأزاح علتهم ودفع معذرتهم) [30] (الشّوكاني،2001).

فاللّه تعالى أنزل كتابه باللّسان العربي لأنّ الذين بُعث فيهم الرسول العربي صلى اللّه عليه وسلم يتكلمون العربيّة، فيتيسر لهم فهم معانيه وتكاليفه، وتنقطع حجتهم وتُدفع معذرتهم، وأبرز القائلين بهذا الإمام الطبري.

المذهب الثاني: يعلّل أصحابه تنزيل القرآن باللّسان العربي بما للعربيّة من خصائص تميزها عن غيرها من اللّغات وتؤهّلها للقدرة على بيان وإظهار معاني القرآن الوحي وتقريبها الى الأذهان،

قال ابن كثير في تفسير ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف]: (وقوله: ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ** ﴾: أي: هذه آيات الكتاب وهو القرآن، ﴿**الْمُبِينِ**﴾: أي: الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها. ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾: وذلك لأن لغة العرب أفصح اللّغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأديّة للمعاني التّي تقوم بالنّفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللّغات...) [31] (ابن كثير ،1999).

وقال في تفسير ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشّعراء]: **(وقوله:** ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾: (أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك بلسانك العربي الفصيح الكامل الشّامل، ليكون بيّناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة) [32] (ابن كثير 1999).

وقال ابن عاشور: (والمبين: الموضّح الدّلالة على المعاني التّي يعنيها المتكلم فإن لغة العرب أفصح اللّغات وأوسعها لاحتمال المعاني الدّقيقة الشّريفة مع الاختصار فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب، والتّقديم

المنارة للاستشارات

والتّأخير، وغير ذلك، والحقيقة والمجاز والكنايّة، وما في سعة اللّغة من التّرادف وأسماء المعاني المقيدة، وما فيها من المحسنات، ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنة، فقدر اللّه تعالى هذه اللّغة أن تكون هي لغة كتابه الذي خاطب به كافة النّاس...) [33] (ابن عاشور، 1984) فأصحاب هذا القول يتجاوزون بداهة مخاطبة العرب بلسانهم العربي وما ينتج عنه من فهم معاني الوحي وانقطاع الحجة بذلك يتجاوزون ذلك الى التّركيز على لفظ ﴿ **مُّبِينٍ** ﴾ في الآيتين، وهو ما لم يحصل عند الطبري والشّوكاني، ويرى الباحث أن بُعد إبانة اللّغة العربيّة الملحوظ في المذهب الثاني هو مستند رأيهم، وأبرز القائلين بهذا ابن كثير من القدامى وابن عاشور من المحدثين.

وهكذا نرى أن لكل مذهب وجهة نظر في قراءة نفس الآيات وتفسيرها، فأي القولين أقرب الى موقف القرآن الكريم؟

3.4 معيار اختيار العربيّة في ضوء القرآن: يرى الرازي في تفسير قوله تعالى:﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت:3] أن اللّه تعالى وصف القرآن بكونه عربياً في معرض المدح والتّعظيم، وهو ما يستدعي إثبات أن لغة العرب أفضل الالسّنة، يقول: (واعلم أن هذا المقصود إنما يتم إذا ضبطنا أقسام فضائل اللّغات بضابط معلوم، ثم بينا أن تلك الأقسام حاصلة فيه لا في غيره...) [34] (الرازي 1981)، ثم يقترح معيارا لضبط تفاضل اللّغات.

والحقيقة أنّ القرآن الكريم أشار الى ذلك الضابط والمعيار في أكثر من موضع وهو معيار قائم أساساً على مدى قدرة لغة التّبليغ والتّدريس على تقريب معاني ومقاصد الوحي الى الأذهان، ويمكن استنباط ذلك من مجموع الآيات التّاليّة:

- ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر:17].
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾. [طه:113].

المنارة للاستشارات

- ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾. [مريم:97]،
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾. [طه:113].
- ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾. [الدّخان:58].
- ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.[الشّعراء].

فالآيات الكريمة تنصّ على جملة أمور هي:

أوّلاً: أن اللّه تعالى يسّر القرآن الكريم، أي سهّل قراءته وحفظه وفهم معانيه.

ثانياً: أنّ تيسير القرآن الكريم معلّلٌ بتيسير وظيفة الرسل عليهم السّلام المتمثلة في التّبليغ والتّعليم، وعُبّر عنها في الآيات بالبشارة والنّذارة، وحصول التّذكر من المخاطبين، أي الاعتبار والاتعاظ والفهم والعلم.

ثالثاً: أنّ علاقة تيسير القرآن باللّغة العربيّة علاقة سببيّة، فسهولة تلقي الأذهان للقرآن ناتجة عن تنزيله باللّسان العربي.

وهكذا يتضح لنا أن القرآن الكريم يرشدنا الى معيار سليم لقياس جودة لغة التّدريس، فهي باعتبارها وسيلة من وسائل التّعليم لا بد أن تُسهم في تحقيق الأهداف التّربويّة المسطرة، ولا شك أن جميع اللّغات صالحة لأداء هذه الوظيفة غير أنّها – بلا شك كذلك – تتفاوت في جودة نقل الرسائل وسرعتها، وذلك راجع الى مدى قدرة اللّغة على بيان المعاني وتقريبها الى الذهن بيسر وسهولة، فيسهم ذلك في تذليل صعوبات العمليّة التّربويّة المختلفة ويرفع من مستوى دافعيّة المتعلّم في التّحصيل العلمي.

ولابن فارس طريقة أخرى في تقريب هذا المعنى، فهو يعتبر وصف القرآن للسان العربي بالبيان تحديداً دليل على أنّ غيره من الالسّنة دونه في ذلك، ولذلك اختاره اللّه لبيان رسالتّه وشريعته، يقول في باب " القول فِي أن لغة العرب أفضلُ

المنارة للاستشارات

اللّغات وأوسعُها ": (قال جلّ ثنـــاؤه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشّعراء].، فوصَفه جل ثناؤه بأبلغ مَا يوصَف بِهِ الكلام، وهو البيان. وقال جلّ ثناؤه:﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَـــانَ** ﴾[35] فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان علَى جميع مَا توحَّد بخلقه وتفرَّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغيرِ ذَلِكَ من الخلائق المحْكمة والنّشايا المُتْقَنة. فلمّا خصَّ جلَّ ثناؤه اللّسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلم أن ســائر اللّغــات قاصــرةٌ عنــه وواقعــة دونــه)[36] (ابن فارس،1997)

ونتيجة كلام ابن فارس هي نفس نتيجة أصحاب المــذهب الثــاني، أي تفســير اعتماد العربيّة لغة لتبليغ وتعليم القرآن الكريم بسب قدرتها علــى بيــان وإظهــار محتوياته.

ويرفض البوريني –من المعاصرين– أن يُتوقَّف في فهم قوله تعــالى ﴿**قُرْآنًــا عَرَبِيًّا**﴾ على أنّه تحديد لنوع اللّغة التّي نزل بها القــرآن لأن هــذا أمــر مفهــوم وبديهي، يقول:(لابد إذن من أن تكون كلمة ﴿**عَرَبِيًّا**﴾ قد احتوت معــاني أخــرى. إنني أرى فيها إشارة خاصة الى ما في العربيّة من بيان ووضــوح يمكــن قــارئ القرآن المتدبر لآياته من أن يعقل ويفهم القرآن...﴾[37].

ويقول حبنكة: (وظاهر في وصف اللّسان العربي بالإبانة المــدح لــه بالدّقــة والضبط في تأديّة ألفاظه وتراكيبه وقواعده وأساليبه البلاغيّة للمعاني التّــي يقصــد إليها البليغ , حينما يستخدم هذا اللّسان للتعبير عما يريد الإبانــة عنــه , واللّســان العربي هو اللّغة العربيّة الفصحى التّي أنزل اللّه بها القرآن... لأن اللّغة العربيّــة لغة فيها من القواعد الرصينة والأساليب البلاغيّة ما يضبط الدّلالة علــى المعــاني الكثيــرة المــرادة ولا يســمح لهــا أن تكــون مائجــة مائعــة رجراجــة)[38] (الميداني،2000).

المنارة للاستشارات

4.4 تدريس القرآن وتدريس العلو التّدريس في القرآن الكريم – كما سبق[39] – يدلّ على القراءة والحفظ مجتمعةً، وبالرجوع الى مختلف التّفاسير نجد أنّ مجال تيسير القرآن يتعلق أيضا بقراءة الكتاب العزيز وحفظه وفهم معانيه، قال الزحيلي:(أي لقد سهلناه للحفظ، وسهلنا لفظه للنطق، ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر النّاس، فهل من متعظ بمواعظه، ومعتبر بعبره؟)[40] (الزحيلي، 2009) وينقل الماوردي ثلاثة وجوه للتيسير هي تسهيل تلاوته وقراءته ولو لأعجمي وتسهيل استنباط معانيه وتسهيل حفظه فهو أيسر كتاب يحفظ[41] (الماوردي د.ت.ن)

وهذا مدخل مهم لإلحاق لغة تبليغ القرآن وتدريس معارفه وأحكامه بلغة تدريس مختلف العلوم، وذلك بجامع وجوه التّيسير في المجالين، وهو سبب اعتبار الباحث لاعتماد العربيّة كلغة للتدريس مبدأً من المبادئ التّدريسيّة[42].

فتيسير القرآن معناه إزالة جميع صعوبات تعلّمه، بحيث يتمكن دارسوه ومتدارسوه من قراءته وحفظه وفهم معانيه بسهولة، وتمّ اختيار العربيّة للقيام بهذه المهمة المعقّدة لما لها من مقوّمات وخصائص، ومعنى هذا أنها مؤهلة بقوّة لتدريس مختلف العلوم في المؤسسات التّعليميّة والجامعات، وهي قادرة على تذليل مختلف الصعوبات والعوائق المتعلقة بالتّعليم والتّعلم.

المنارة للاستشارات

الخاتمة: تناول البحث قضيّة اعتماد العربيّة لغةً لأداء وظيفة تبليغ القرآن الكريم وتدريس ما فيه من علوم، وتم التّركيز في ذلك على المنظور التّربوي من خلال البحث عن معيار اختيارها لتلك الوظيفة، وقد أسفر البحث عن النّتائج التّاليّة:

- أنّ التّدريس في ضوء القرآن الكريم حَظيَ بعنايّة واهتمام كبيرين من حيث غاياته وأبعاده.
- أنّ التّدريس في ضوء القرآن الكريم عمليّة صعبة تقتضي الجهد المنظم والوقت اللّازم والمحاولة المتكررة والوسائل الضروريّة.
- أنّ تعقد عمليّة التّدريس تقتضي توفير أكبر قدر ممكن من وسائل التّعليم وأنّ اللّغة هي الوسيلة الطبيعيّة الأكثر فعاليّة لنجاعتها في تحقيق التّواصل التّربوي بين طرفي العمليّة التّربويّة.
- أنّ اعتماد العربيّة لغةً لتدريس العلوم مبدأٌ من مبادئ التّدريس في ضوء القرآن الكريم، نظراً لقدرتها الذاتيّة على تسهيل الفهم والتّحصيل.
- أنّ معيار القرآن الكريم في اختيار لغة التّبليغ والتّدريس هو قدرتها على تقريب المعاني الى الأذهان بيسر وسلاسة.
- أنّ العربيّة هي أجود اللّغات وأكثرها فعاليّة في تدريس مختلف العلوم.

ويوصي الباحث بما يلي:

- تناول مسألة اعتماد العربيّة لغةً لتدريس في ضوء القرآن الكريم من أبعاد أخرى.
- البحث عن مبدأ اعتماد العربيّة لغةً لتدريس العلوم في السّنة النّبويّة.
- البحث عن مبدأ اعتماد العربيّة لغةً لتدريس العلوم في الفكر التّربوي العربي والاسلامي.

المنارة للاستشارات

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. أبو زهرة، محمد، **الإمام زيد حياته وعصره آراؤه وفقهه**، (دار الفكر العربي مصر، د.ت.ن)

2. ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التّحرير والتّنوير**، (الدّار التّونسيّة للنشر تونس، مج30، 1984م).

3. ابن كثير، أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، تح: السّلامة، سامي (دار طيبة للنشر والتّوزيع، السّعوديّة، مج8، ط/2، 1420هـ- 1999م).

4. ابن فارس، أحمد بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ، تح: بسج، أحمد حسن ،(دار الكتب العلميّة، لبنان ، ط1 1418ه-1997م).

5. ابن منظور، جمال الدّين، **لسان العرب** (دار صادر، بيروت، مج15، د.ت.ن).

6. البغا، مصطفى ديب ، ومستو، محيى الدّين ديب، **الواضح في علوم القرآن** (دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانيّة، سوريا، ط2، 1418ه-1998م).

7. البوريني، عبد الرحمن أحمد، **اللّغة العربيّة أصل اللّغات كلها** (دار الحسن للنشر والتّوزيع، الأردن، ط/1، 1419ه-1998م).

8. دخل اللّه، أيوب، **التّربيّة المستمرة وتعليم الكبار رؤيّة إسلاميّة** (دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط/2، 2017م).

9. دراز، عبد اللّه، **النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، (دار الثقافة، قطر د.ت.ن، 1405ه-1985م).

10. الرازي، محمد فخر الدّين، **التّفسير الكبير** (دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع لبنان، مج32، ط/1، 1401ه- 1981م).

11. الزحيلي، وهبة، **التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج** (دار الفكر سوريا، مج15، ط/10، 2009م).

المنارة للاستشارات

12. الزيات، فتحي ، **سيكولوجيّة التّعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي** (دار النّشر للجامعات، مصر، ط2، 1424ه-2004م).

13. زيتون، حسن حسين، **التّدريس رؤيّة في طبيعة المفهوم**، ط/1، القاهرة: علم الكتب، 1997).

14. زيدان، جرجى، **تاريخ آداب اللّغة**، (دار الهلال، مصر، مج4، 1911م).

15. شبرن خليل إبراهيم وآخرون، **أساسيات التّدريس**، دار المناهج، الأردن، ط1 1435ه-2014م). ص24

16. الشّوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الروايّة والدّرايّة من علم التّفسير** (دار الكلم الطيب، سوريا- لبنان، مج5، ط/2، 1419هـ - 1998م).

17. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: التّركي، عبد اللّه (دار هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والاعلام، مصر، مج24، ط/1، 1422 هـ - 2001م).

18. عبد الحميد إياد، **المهارات الأساسيّة في اللّغة العربيّة** (مركز الكتاب الاكاديمي، الأردن، ط1، 2015)

19. عطيّة، محسن علي، **المناهج الحديثة وطرق التّدريس** (دار المناهج للنشر والتّوزيع ، الأردن، ط/1، 1434ه - 2013م).

20. علي، سعيد إسماعيل، **السّنة النّبويّة رؤيّة تربويّة** (دار الفكر العربي، مصر ط/1/ 1423ه-2002م)

21. العمادي، أبو السّعود محمد، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، تح: عطا، عبد القادر أحمد (مج9، ، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، مج9، د.ت.ن)

22. الفتلاوي، سهيلة محسن كاظم، **المدخل الى التّدريس** (دار الشّروق للنشر والتّوزيع، الأردن، ط، 2010).

23. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النّكت والعيون**، تح: ابن عبد الرحيم السّيد ابن عبد المقصود (، دار الكتب العلميّة، مؤسسة الكتب الثقافيّة، لبنان، 6مح د.ت.ن)

24. مجمع اللّغة العربيّة، **المعجم الوسيط** (مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، ط/4 2004م)

المنارة للاستشارات

25. المحيسن، إبراهيم، **تدريس العلوم تأصيل وتحديث** (العبيكان للنشر، السّعوديّة ط/2، 1428ه – 2007م).

26. مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم** ، تح: عبد الباقي، محمد فؤاد، (دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابى الحلبي وشركاه، مصر، مج4، ط/1، 1412ه-1991م)

27. الميداني، عبد الرحمن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التّبشير- الاستشراق-الاستعمار(دار القلم، سوريا، ط/8، 1420ه-2000م).

- **المقالات:**

- عادل، ضباغ، **لغة التّدريس في قسم اللّغة العربيّة قسم الثانيّة باكالوريا بالمغرب نموذجا**، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، الجزائر، مج1 ع1 2015

المنارة للاستشارات

7. الهوامش :

[1] ابن منظور، جمال الدّين، لسان العرب(دار صادر، بيروت، مج15، د.ت.ن)79/6 وما بعدها.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، مج30 السّنة 1984م) 295/3.

[3] نفس المرجع السّابق 181/8.

[4] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: التّركي، عبد اللّه (دار هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والاعلام، مصر، مج24، ط/1، السّنة: 1422 هـ - 2001م) 476/9.

[5] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، تح: عبد الباقي، محمد فؤاد، (دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابى الحلبي وشركاه، مصر، مج4، ط/1، السّنة1412ه-1991م) 2074/4 ر2699.

[6] دراز، عبد اللّه، النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، (دار الثقافة، قطر، د.ط السّنة:1405ه-1985م)(ص13)

[7] زيتون، حسن حسين، التّدريس رؤيّة في طبيعة المفهوم، ط/1، القاهرة: علم الكتب، 1997 (ص3 وما بعدها)

[8] شبرن خليل إبراهيم وآخرون، أساسيات التّدريس، دار المناهج، الأردن ط1، السّنة: 1435ه-2014م) ص24

[9] عطيّة، محسن علي، المناهج الحديثة وطرق التّدريس (دار المناهج للنشر والتّوزيع الأردن ط/1، السّنة: 1434ه - 2013م.) ص239.

[10] المحيسن، إبراهيم، تدريس العلوم تأصيل وتحديث (العبيكان للنشر، السّعوديّة، ط/2 السّنة: 1428ه - 2007م.) ص37،

[11] دخل اللّه، أيوب، التّربيّة المستمرة وتعليم الكبار رؤيّة إسلاميّة (دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط/2، السّنة: 2017م) ص 150

[12] مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط (مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة ، ط/4 السّنة:2004م) ص42

[13] فتحي الزيات، سيكولوجيّة التّعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي (دار النّشر للجامعات، مصر،ط1424،2ه-2004م) ص58

المنارة للاستشارات

[14] عبد الحميد إياد، المهارات الأساسيّة في اللّغة العربيّة (مركز الكتاب الاكاديمي، الأردن ط1، 2015) ص53

[15] عادل ضباغ، لغة التّدريس في قسم اللّغة العربيّة قسم الثانيّة باكالوريا بالمغرب نموذجا مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، الجزائر، ' مج1، ع1 2015

[16] عبد المجيد سالمي، إشكاليّة اللّغة في تدريس العلوم، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع17، جانفي2013، ص9

[17] عبد المجيد سالمي، مرجع سابق ص13

[18] العمادي، أبو السّعود محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عطا، عبد القادر أحمد(مج9، د.س، ، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، مج9، د.س) 162/1

[19]علي، سعيد إسماعيل، السّنة النّبويّة رؤيّة تربويّة، (دار الفكر العربي، مصر، ط/1/ السّنة: 1423ه-2002م) ص241

[20] ابن عاشور مرجع سابق (189/27).

[21] تنظر ص14 وما بعده من الدّراسة.

[22] الشّاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، تح: آل سلمان، أبو عبيدة، (دار ابن عفان للنشر والتّوزيع السّعوديّة، مج6، ط/1ن السّنة: 1417ه-1997م) 102/2.

[23]أبو زهرة، محمد، الإمام زيد حياته وعصره آراؤه وفقهه، (دار الفكر العربي، مصر، د.س) ص468

[24] البغا، مصطفى ديب ، مستو، محيى الدّين ديب، الواضح في علوم القرآن، (دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانيّة، سوريا، ط2، السّنة: 1418ه-1998م) ص257.

[25] اقتصر الباحث في ذكر خصائص العربيّة على زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللّغة، (دار الهلال، مصر، مج4،السّنة:1911م) من 46/1 الى50/1.

[26]ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها تح: بسج، أحمد حسن ،(دار الكتب العلميّة، لبنان ، ط1، السّنة: 1418ه- 1997م.) ص143

[27] ينظر للمزيد من خصائص العربيّة هلال، عبد الغفار حامد، العربيّة خصائصها وسماتها (مكتبة وهبة، مصر، ط5/ 1425ه-2004م) ص165

[28] تفسير الطبري مرجع سابق (6/13)

[29] تفسير الطبري مرجع سابق (397/19)

المنارة للاستشارات

[30] الشّوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الروايّة والدّرايّة من علم التّفسير (دار الكلم الطيب، سوريا- لبنان، ، مج5،ط/2، السّنة: 1419هـ - 1998م) 135/4.

[31] ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تح: السّلامة، سامي (دار طيبة للنشر والتّوزيع اتلسعوديّة، مج8، ط/2، السّنة: 1420هـ- 1999م) 365/4.

[32] ابن كثير مرجع سابق 162/6.

[33] ابن عاشور مرجع سابق (190/19).

[34] . الرازي، محمد فخر الدّين، التّفسير الكبير (دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، لبنان مج32، ط/1، السّنة:1401ه- 1981م). 539/27.

[35] سورة الرحمان (الآيتان3-4)

[36]ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها تح: بسج، أحمد حسن ،(دار الكتب العلميّة، لبنان ، ط1، السّنة: 1418ه- 1997م.) ص19

[37] البوريني، عبد الرحمن أحمد، اللّغة العربيّة أصل اللّغات كلها (دار الحسن للنشر والتّوزيع الأردن، ط/1، السّنة: 1419ه-1998م) ص34.

[38] الميداني، عبد الرحمن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التّبشير-الاستشراق-الاستعمار(دار القلم، سوريا، ط/8، السّنة: 1420ه-2000م) ص391

[39] يتنظر ص6 من هذه الدّراسة.

[40] الزحيلي، وهبة، التّفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج (دار الفكر، سوريا مج15 ط/10، السّنة: 2009م) (170/14)

[41] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، النّكت والعيون، تح: ابن عبد الرحيم، السّيد ابن عبد المقصود (، دار الكتب العلميّة، مؤسسة الكتب الثقافيّة، لبنان، 6مح، (د.ت.ن) (413/5)

[42] أطروحة دكتوراه عن تدريس العقيدة الاسلاميّة في ضوء القرآن والسّنة، قسم العلوم الاسلاميّة جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان.

المنارة للاستشارات

المنارة للاستشارات